حوار عبر الأثير مع صحافي معارض

1 ـ 2

احمد الحبيشي

قبل ثلاثة أسابيع كرس الزميل عبدالحكيم هلال صفحتين في جريدة ((الأهالي)) لإبراز دور الأخ علي سالم البيض الأمين العام السابق للحزب الاشتراكي اليمني في تحقيق الوحدة اليمنية إلى جانب أخيه الرئيس علي عبدالله صالح، وتسليط الضوء على بعض جوانب سيرته الوطنية الوحدوية على نحو ينفي عنه عـلاقته بقرار الانفصال الذي أعلنه بصوته بعد ثلاثة أسابيع من اندلاع حرب صيف 1994م.

كان واضحاً حرص الزميل عبدالحكيم هلال على إيراد بعض الشهادات التي أدلى بها عدد من الشخصيات السياسية في اليمن، وبضمنها كاتب هذه السطور حيث استشهد الزميل هلال بمقاطع طويلة من مقالات مختلفة كنت قد نشرتها في صحف ((26 سبتمبر)) و((الثورة)) و((14 أكتوبر)) وكانت تلك النصوص التي استشهد بها هلال تدعم الرسالة التي أراد إيصالها إلى القراء.

لاشك في أنّ حرص الزميل هلال على الاستعانة ببعض ما كتبته في العام الماضي، وحرصه على (تقويسها) والإشارة إلى تواريخها ومصادرها ، كان ينطلق من حاجته للموضوعية بهدف دعم وتسويغ الاستنتاجات التي أراد التوصل إليها . لكن الزميل هلال ابتعد فجأة عن الموضوعية التي يقتضيها أسلوب البحث والتحليل القائم على الاستقراء حين قال : ((والمعروف أنّ الحبيشي كان من كبار منظري الانفصال قبل أن يفر إلى القاهرة بعد حرب صيف 1994م)) .

لم يورد هلال أية نصوص تدعم ذلك الاتهام ، ناهيك عن أنّه لم يخفِ في ما كتبه على مساحة صفحتين كاملتين قناعته بأنّ قرار الانفصال كان من تداعيات حرب صيف 1994م اتخذه المكتب السياسي في عدن وأعلنه البيض من المكلا بناء على رسالة تكليف مرفقة بالقرار، ولم يكن مشروعا جاهزاً للحزب الاشتراكي اليمني وأمينه العام الأسبق علي سالم البيض الذي حرص هلال على إبراز رصيد كفاحه الوطني الوحدوي، الأمر الذي أوقعه في تناقض واضح . لأنّ مجرد القول بأنني كنت من أبرز (منظري الانفصال) يفترض وجود مشروع انفصالي للحزب الاشتراكي اليمني مناقض لمبادئه ومنطلقاته وأهدافه وتاريخه ، وهو ما أراد الزميل هلال أن ينفيه من خلال حرصه على تقديم ما يشبه الدفاع عن السيرة الوطنية الوحدوية للأخ علي سالم البيض أمين عام الحزب الاشتراكي اليمني الأسبق مستشهدا بنصوص مطولة من كتاباتي. كما أنّ القول بوجود منظرين للانفصال يعني أنّ قرار الانفصال لم يكن من تداعيات الحرب بل أنّه مشروع متكامل يستند إلى فكر نظري يبرره ويؤصله (منظرو الانفصال) من خلال مقالات وأبحاث ودراسات وكتب، حيث تقتضي الموضوعية إيراد أسماء بعض منظري المشروع الانفصالي الذين شاركوني في التنظير لمشروع الإنفصال والإشارة الى نماذج من أعمالهم النظرية، والاستشهاد ببعض النصوص التي تسلط الضوء على مساهماتهم النظرية في التأصيل الفكري لمشروع الانفصال ، وهو ما لم يفعله الزميل عبدالحكيم هلال على النقيض من استشهاده بمقاطع واسعة من مقالاتي التي دافعت فيها عن سيرة علي سالم البيض الوطنية الوحدوية، ودوره ليس فقط في تحقيق الوحدة بل وفي السعي لإنقاذها من مخاطر الأزمات التي كادت تهددها في الفترة الانتقالية وغداة انتخابات عام 1993م، كتجسيد لحرصه على تعميق عـلاقة الشراكة الوطنية التاريخية بين المؤتمر الشعبي العام والحزب الاشتراكي اليمني اللذين بادرا إلى تحقيق الوحدة والديمقراطية التعددية وإنهاء التشطير واستعادة الوجه الشرعي للوطن اليمني الواحد.

في السياق نفسه افترض الأخ / عبدالحكيم هلال إنني كنت قد (فررت) بعد الحرب إلى القاهرة، وهو افتراض ينسف الكثير من كتاباته ومواقفه التي يدعو فيها إلى إزالة آثار حرب صيف 1994م، ويناصر من خلالها مواقف وتوجهات العديد من قيادات الحزب الاشتراكي اليمني في إطار ((اللقاء المشترك))، وجميعهم نزحوا مع كاتب هذه السطور بعد تلك الحرب التي يطالب بإزالة آثارها السلبية، ولم (يفروا) .. لأنّ ثمة فرقا كبيرا بين الفرار والنزوح.. فالأول ينطوي على توصيف قانوني لحالة هروب من العدالة التي تقتضي ضرورة ملاحقة الفارين بالوسائل القانونية عبر الشرطة المحلية أو الدولية (الانتربول) لإنفاذ حكم قضائي صدر بحقهم، أو لمحاكمتهم بتهم جنائية جسيمة تستوجب مثولهم أمام العدالة وإخضاعهم لسلطة القانون.

أما النزوح فهو توصيف أكاديمي لحالة إنسانية أو سياسية تندرج ضمن تداعيات الحروب أو الكوارث الطبيعية.. ولو كانت صفة (الفرار) تنطبق على كاتب هذه السطور قبل أن يعود إلى وطنه بحسب ما جاء بقلم الزميل عبدالحكيم هلال، فإنها ستنطبق أيضاً ـ تبعا لذلك ـ على كل النازحين الذين عادوا الى وطنهم دون أن يتعرضوا لأية مساءلة قانونية من قبل الأجهزة المختصة بإخضاع الفارين من العدالة لسلطة القانون ـ ولو على سبيل الإجراءات الشكلية التي تستوجب إغلاق ملف قضاياهم الجنائية ـ ومن بينهم الدكتور ياسين نعمان والأستاذ جار الله عمر والأستاذ أبوبكر باذيب والأستاذ أنيس حسن يحيى وغيرهم من قادة وأعضاء الحزب الاشتراكي الذين عادوا إلى وطنهم بعد أن زالت عنهم أسباب النزوح. علماً بأنّ هؤلاء الذين يفترض أنهم كانوا ((فارين)) مثل كاتب هذه السطور يحظون بتعاطف وتأييد الزميل عبدالحكيم هلال وغيره من الزملاء العاملين في صحافة أحزاب ((اللقاء المشترك)) .

اعترف بأنني لم أكن راغبا في الرد على تلك الاتهامات التي لا أجد لها أساساً موضوعيا وسندا قاطعا. لكن إعجابي بحرص الزميل عبدالحكيم هلال على التحلي بالموضوعية والرصانة والابتعاد عن الشتائم والتجريح في كتاباته وتناولاته السياسية المنشورة في بعض صحف المعارضة ، والتي أحتفظ بحقي في الإختلاف مع مضامينها، دفعني إلى التساؤل عن أسباب عدم التزامه بالموضوعية في ذلك المقال عندما أتهمني بأنني كنت من (كبار منظري الانفصال) دون أن يدعم رأيه ولو بنص واحد من مقالاتي وكتاباتي، ودون أن يعني ذلك رغبتي في الرد على مثل هذا الاتهامات والأحكام الجاهزة التي تتعارض مع قيم وأصول النقاش والاختلاف ، و تندرج في سياق المكايدات الإعلامية بامتياز.

والحال إنني تعرضت كثيراً لوابل من الاتهامات والإساءات والمكايدات التي كنت ومازلت أحرص على تجاهلها وعدم الاهتمام بها انطلاقاً من قناعتي بأنّ النقاش الموضوعي الذي يسهم في بناء وعي معرفي نقدي هو الذي نحتاجه لبناء ثقافة سياسية جديدة تقبل الاختلاف والتنوع والمغايرة باتجاه البحث عن الحقيقة التي لا يحتكرها أحد، بينما يؤدي الانجرار وراء هذه المكايدات والإساءات إلى التعاطي معها وبالتالي الابتعاد عن الموضوعية، لأنّ رد الفعل سيأتي من صنف الفعل.

ولأنّ الزميل عبدالحكيم هلال افترض إنني من (منظري الانفصال) الذين (فروا) من الوطن بعد الحرب ، على نحو يتعارض مع حرصه على الالتزام بالموضوعية سواء في ذلك المقال الذي أشرت إليه آنفا، أو في غيره من المقالات التي لا أخفي إعجابي بأسلوب كاتبها رغم اختلافي معها ، فقد حرصت على البحث عن رقم هاتفه والاتصال به لغرض العتاب لا غير .. لكنني ــ والحق أقول ـ فوجئت بأنّ ذلك الاتصال تحول إلى حوار شائق بين صحافي محسوب على صحافة الحكومة وآخر معارض مَحسوب على صحافة المعارضة!!

ولعل ما شجعني على الدخول في حوار مفتوح مع الزميل عبدالحكيم هلال اعترافه بأنه وقع في خطأ ابتعد به عن الموضوعية ، واعتذاره عن ذلك الخطأ ، مع حرصه على تبرير وقوعه في ذلك الخطأ بأنّه كان نتيجة اعتماده على (لقطة) نشرتها صحيفة ((الميثاق)) لسان حال المؤتمر الشعبي العام عام 1998م أثناء وجودي في القاهرة، وصفتني فيها بأنني كنت من (كبار منظري الانفصال) قبل أن (أفر إلى القاهرة) بحسب ما جاء في (اللقطة) التي يقول الزميل هلال إنّه اعتمد عليها، وهي (لقطة) لا تصلح لأنّ تكون مرجعاً معتمدا ، بدليل أنّ الزميل هلال لم يذكرها ولم يورد تاريخها كمرجع على نحو ما فعله مع نصوص أخرى أوردها في مقالته المنشورة بصحيفة ((الأهالي)) وبضمنها نصوص من بعض مقالاتي التي نشرتها في عدد من الصحف اليمنية، ناهيك عن أنّ تلك ((اللقطة)) كانت بحسب قناعتي تعبر عن إشتباك لاوعي كاتبها مع اللحظات السياسية المأزومة ، التي تأتي مخرجاتها في شكل حملات صحفية مرحلية أو موسمية ، تتحول الصحف بفعل وقوعها في منطقة اللاوعي المأزوم ، الى لعبة عمياء يتسيدها محترفو الشتم والقدح والردح والتجريح والتحريض والدعاية والمكايدة، وما يترتب على ذلك من إضعاف لقدرة الكلمة على المساهمة في تاسيس ثقافة معرفية تخدم منهج البحث عن الحقيقة ، بعيداً عن أي شكل من أشكال الوصاية على العقل والإعتقاد بامتلاك وإحتكار الحقيقة !!

والثابت إنّ مفاعيل العالم الواقعي الحي تتجاوز دائماً قشور اللحظات المأزومة بعد انفراجها، لأنّ الأزمات مؤقتة والمتغيرات دائمة ومستمرة . وفي أزمنة التحولات يفقد الخطاب التحريضي المأزوم فاعليته ومبررات وجوده، ويخفت تبعا لذلك بريق النافخين في البورزانات وحاملي المباخر والمشتغلين بتجارة الفيد والحالمين بأوهام الفتوحات وغنائمها ، وغيرهم من الذين يكثر الطلب عليهم في أسواق الأزمات والحروب ، ثمّ يتم الاستغناء عنهم بعد أن تركد تجارتهم.

والحال إنني لم أكسب فقط من الاتصال الذي أجريته مع الزميل عبدالحكيم هلال ـ بهدف العتاب ـ صديقا بالمعنى الإنساني لعلاقات الصداقة التي تنشأ وتتطور بين الناس بصرف النظر عن اختلافهم في الآراء والمواقف والأفكار والتوجهات، لكنني كسبت أيضاً من خلال ذلك اللقاء حوارا التقينا في رحابه معاً على قاعدة الإيمان المتبادل بضرورة الاختلاف والتعدد والتنوع والحرص المشترك على إعلاء دور العقل النقدي التحليلي في مناقشة القضايا التي اختلفنا ومازلنا نختلف فيها، والاقتناع المتبادل بضرورة تحويل القضايا التي اتفقنا بشأنها ، إلى قواسم مشتركة تسهم في تعزيز أواصر الشراكة الوطنية والمهنية بين الصحفيين من مختلف الاتجاهات ،على قاعدة التعدد والتنوع والاختلاف في إطار الوحدة، بما هي نتاج موضوعي لمجموع أعمالنا، الأمر الذي يفترض أن تكون أعمالنا انعكاساً للنشاط الإنساني الواعي والهادف للمجتمع أفرادا وجماعات .. فإذا كان نشاطنا الإنساني غير واع وغير هادف وحبيس اللحظة العابرة ـ خصوصا عندما تكون مأزومة ـ ، يكون مجموع أعمالنا عفويا ، ويتسبب في إضعاف الوحدة وتجفيف منابع التنوع وإفقار الحياة وتجريدها من عناصر النماء.

وبقدر حرصنا جميعاً على تنمية القيم الإنسانية المشتركة التي تؤطر نشاطنا كأفراد وجماعات، بقدر نجاحنا في أن يكون نشاطنا واعياً وهادفا وقادراً على تعظيم مفاعيل التنوع في إطار الوحدة.

يبقى القول إنّ حواري مع الزميل عبدالحكيم هلال عبر الهاتف لم يكن مرة واحدة.. بل كان عدة مرات.. وفي كل مرة كان اتصالنا طويلا.. وبلغة الناطقين الرسميين بأسماء الأحزاب التقى صحافي محسوب على الحكومة وآخر محسوب على المعارضة على طاولة حوار عدة مرات ناقشا فيها قضايا عديدة وشائكة ذات صلة بالسياسة، الاقتصاد ، العـلاقات الدولية ، مصاعب النمو، إشكاليات الديمقراطية ، الإصلاح السياسي والاقتصادي ، الفساد ، حرب صعدة ، سبل معالجة آثار حرب 1994 ، تداعيات اللجوء الى الشارع ، مخاطر انبعاث مشروع الجنوب العربي ، التداول السلمي للسلطة ،المرأة ، الإسلام السياسي ، حرية الصحافة ، الدين والدولة والمجتمع.

وبعد كل حوار كنا نتفق ونختلف .. لكن النتائج كانت تجعلنا أكثر قربا من بعض.. فالحوار وحده هو الذي يجعل نشاط الإنسان واعيا وهادفا بخلاف نشاط الحيوانات والكائنات الحية التي حرمها الله من نعمة العقل لحكمة من لدنه عز وجل .. وقد كان عبدالحكيم هلال رائعا عندما أعرب عن سعادته بتغيير الصورة التي كان يحملها عني قبل أن نتحاور معا بقوله : (الناس وحوش حتى تتعارف) .

يقينا أنّ حواري مع هلال كان مشهداً مصغراً لما يجب أن يكون الحال عليه بين كافة أطراف العملية السياسية.. وقد أصبحنا بفضل هذا الحوار صديقين لدودين .. وهذا ما سأتناوله في المقال القادم.

عن / صحيفة (٢٦ سبتمبر)

التسامح هل يمكن أن يكون أيدلوجيا للكراهية ؟

نبيل الصوفي

في لقاء حضرته في ديوان صاحب الأيام الأستاذ هشام باشراحيل مع كوكبة سماها أحدهم «أصحاب أقلام الرصاص» في الصحيفة، سألت الأستاذ أحمد عمر بن فريد: ألاترى إن الاستمرار في الخطاب المناطقي يهدد مئات الآلاف من أبناء المحافظات اليمنية جنوبية وشمالية، بمستقبل يلتزم للتطهير العرقي؟ وهذا منهج ومستقبل لايمكن أن يختلف عن مايعيشه العراق حاليا، بل سيكون أسوأ لأن العراق أصلا لم يشهد مثل هذا الخطاب قبل سقوط نظام الرئيس العراقي صدام حسين.

حين لايشفع لعبدالفتاح اسماعيل ابن الحجرية الذي استشهد برفقة علي عنتر ابن الضالع وصالح مصلح ابن اليمن كلها، والذي لايزال مدانا فكريا وسياسيا وأخلاقيا من قبل السلطة أو رموز في تحالف حزبه، ومقصاً من الاعتبار، حين لايكفيه ذلك فتقص صورته من على كرتون حظي به شهداء هذه البلاد الذين لاتحبهم السلطة!!

حين يتحدث مئات أو لنقل حتى آلاف باعتبارهم الناطقين باسم الحق الجنوبي والطهر الجنوبي والخير الجنوبي، ويرون غيرهم سواء آلاف أو ملايين من أبناء الجنوب والشمال نقيضا لذلك كله، فأي مستقبل إذا وأي خير وأي مختلف يمكن لنا أن نتحالف له ومن أجله.

نعم لقد تصرف المؤتمر الشعبي العام في أحيان كثيرة بإقصائية غريبة، وذكر بالقتل والقتلى، ونبش الصولبان، ويبحث حاليا عن «تفاريش»، ويتحدث عن دموية النخبة السياسية في الجنوب وكأن الشمال كان جنة سلام لم يعرف محمد خميس ولم يختف فيه سلطان القرشي، ولا قتل فيه مئات من محمد الرعيني وحتى جارالله عمر، ولكن ذلك لن يكون واقيا أخلاقيا يبرر أن يجد قتلى 13 يناير جثثهم مرة أخرى وسيلة للتنكيل السياسي. ولا أن نجد أنفسنا وحقوق أهلنا وإخواننا من أبناء المحافظات الجنوبية أو بخاصة حقوق مهزومي حرب 1994 وخصوم سلطة المؤتمر الشعبي العام، أن نجد أنفسنا أسنة رماح تستخدم لتمرير وحماية خطاب يحرض على الكراهية ويحث على التفرقة والتمييز.

إن مثل هذا التاريخ يجب أن يتحول إلى يوم مختلف نقرأ فيه كارثية ما صنعه فكرا وسلوكا، وكيف أن أخطاء الخصوم تعمينا فتدفعنا لارتكاب ما هو أسوأ منها.

إنه من المخيف أن بيننا من الرموز الوطنية من ترى أن من حقها العمل بذات الآلية التي أنجزت كارثة 13 يناير.. قد يكون معها كل الحق في شعورها بالإقصاء والظلم والضيم، وبأن لنا سلطة لم تستطع بعد الانتقال إلى الميدان لتعالج مشكلاته من جهة، ولتبني صروحا لإنجازات مستقبلية. ولكن هل ذلك مبرر لنجد أنفسنا أمام جهود كل هدفها هو إحياء القوة التي أنتجت 13 يناير، حتى وإن تحدثت عن التسامح والتصالح، فالشعارات لاتكفي. إن التصالح والتسامح منهج يقتضي الكف عن السير في طريق أنتج الكوارث ليس مرة واحدة بل عشرات المرات.

إن من يقول إن السلطة لن ينفع معها إلا مثل هذ السلوك مخطئ وواهم، هذا إن لم نقل إنه إما لايفقه شيئا أو يريد أن يعبث بنا جميعا على الطريقة التي اعتاد عليها أو تعلمها.

لقد قاد الصحفيون معارك مهنية تمكنوا خلالها من إنجاز الكثير، وهم بذات الطريقة يواصلون وإن بصعوبات مكافحتهم لكل مايعيق حقهم وينتهك مهنتهم. ولم يحتج أي منهم لمناصرة مناطقية أو خطاب ماضوي. واستوى في ذلك الإفراج عن عبدالرحيم محسن وابراهيم حسين وصولا إلى سعيد ثابت وعبدالكريم الخيواني وهاجع الجحافي وجمال عامر وغيرهم كثير.

لقد وجدت حركة المتقاعدين آذانا وأقلاما ومناصرين تحركت بسبب تحالفهم جميعا كقضية حقوقية لم تنته بعد، ونخاف أن تظن السلطة أن مجرد هدوء التفاعلات بسببها يبرر لها التراخي عن معالجتها، وللأسف إن الانتصار الذي تحقق أغرى بعضنا بسبب هشاشة وعينا السياسي بأن نجرب ماقد يكون صاخبا لكنه لن يحقق شيئا على أرض الواقع. وإذا حقق شيئا فلن يكون سوى ماهو أسوأ للجميع من الوضع الحالي ولا نأمل ذلك وندعو الله أن يحمي هذه البلاد من مغامرين لايرون أحدا في الكون يستحق الاحترام إلا أنفسهم وآراءهم.

خلاصة القول إننا نأمل باعتذار وطني لضحايا الصراعات، أو على الأقل لنقل فترة انتقالية ننفصل فيها أولا عن قطار ندرك أنه هو من أوصلنا لهذا الوضع السيئ، وسواء كان قطار التحالفات أو قطار الخطاب والثقافة.. ونترك للتاريخ تأسيس ثقافة مناقضة للعنف ورافضة للظلم في ذات الوقت.. ولله الأمر من قبل ومن بعد..

عن / (سبتمبر نت) و(نيوز يمن)

ليلة سقوط رأس «منى»

أروى عثمان
arwaothman@yahoo.com

الى: "أرزاق" طالبة كلية الإعلام سنة أولى – جامعة صنعاء - التي تكالبت عليها ضغوط دعاة الفضيلة والعفة إناثاً وذكوراً من: الأكاديميين والمؤتمريين والإصلاحيين والأمنيين لتطهير رأسها السافر، مما أضطرها لترك " الحراااااام " الجامعي.

فجأة صديقة ابنتي "منى" وجارتنا اللصيقة، تظهر بلا وجه، بلا رأس.. انحشر جسدها الصغير ذو الثلاثة عشر ربيعاً وتكوم داخل أكياس الموتى السوداء.. وغدت تتحرك ولكن بدون رأس.

شيء كهذا رأيته في أحد أفلام هوليود المخيفة: الجثث التي تعبر الشوارع والمقابر والجامعات، بلا رؤوس.

منظر "منى" والإناث في اليمن جاوزنا الفانتازيا "الهيولودية" بامتياز.. ترى هذه الصورة – الجثة في كل لحظة وتتكوبس البلاد الخالية من وجه أية امرأة تفتح وجهها، وتريق الحياة في شرايين المدينة، لتزهر.

فكيف تعيشين يا صنعاء / تعز/عدن /حضرموت.. الخ ونساؤك بلا وجوه وبلا رؤوس.. جثث متفحمة تتخبط في طرقات الفناء والانقراض؟!

كنا نتوقع من "منى" أنها ستكون بلا رأس عندما تكبر قليلاً، لم يبق إلا سنوات قليلة وستبدأ تتخلق الجثة وتتفحم، لكنها أسرعت وأحرقت المراحل مثلها مثل الأحزاب اليسارية، لتصل "منى" الى مرتبة أن تكون عروس بلا رأس، مثل مدينتها: عروس الموتى.

عـادت ابنتي من حوش المنزل وهي مكتئبة، حزينة، مقهورة، هرولت تبكي: لقد ضاعت "منى" لن نلعب بعد اليوم. انظري يا أمي من النافذة: كيس أسود ونظارة سميكة كالتي يلبسها عمال الورش، ذكرتني يا أمي بطنجرة جدتي "المـُدحمة" طنجرة بلا رأس، هكذا هي "منى" فأين تستقر نظارتها الثقيلة وهي بلا رأس ولا رقبة؟

وبألم تنشج ابنتي: مع من سألعب يا أمي؟ بعد اليوم لن يكون هناك "وقل" ولا "نط الحبل" ولا "تامبو" ولا ضحك وفرفشة! وتضيف ابنتي: نريد "منى" كما كانت حتى وإن ضجّرتنا بفتاواها الدينية التي تسكبها على رؤوسنا كل يوم، تحلل وتحرم. نريد "منى" كما كانت حتى وهي تهصرنا يومياً بأناشيدها الدينية، فالغناء محرم في بيتها ومدرستها ومع نفسها.. نريدها وهي تلوي عنق اللعبة لتقول للصديقات، حان وقت الصلاة، والاستماع الى "السديس" والسبيع، وابـن قُضاعة وصداعة، من قنوات محددة: الرسالة، اقرأ،الحقيقة، وقنوات كثيرة تفتي بأن الحياة الآخرة خير وأبقى، والحياة الدنيا فناء وزوال.

بعد أيام ظهرت "منى" في حوش المُجمع السكني. قالت لصديقاتها، لا أستطيع أن ألعب معكن، فأنا أصبحت "امرأة مشرشفة"، لكن سنتمشى ونتكلم!

البنات يحببن اللعب والحركة مع "منى"، لكنهن يرفضن دوما "التمشيات" بمعيتها، فهن يعرفن مسبقاً ما ستبثه الزعيمة "منى" من أحاديث الموتى التي تستقيها من أفراد العائلة ومن الفضائيات والمدرسة، أحاديث: كالذي قطع صلاته وتحول الى كلب، وعن البنت التي مُسخت الى معزة و(سلحفاة في رواية أخرى) والبشر الذين ظهرت لهم أذناب وقرون لأنهم لا يقومون الليل تهجداً، وكل الحوادث "منى" رأت أبطالها وهو ممسوخون (بالمناسبة منى لها أب طبيب يشتغل مع أجانب، وأمها أستاذة للعلوم الحية).

قالت ابنتي: مشينا بوجوم. لكنه "الشرشف" الذي يتضاد مع "نط الحبل" والضحك واستبشار الوجه، انه لا يتعايش إلا مع الجثث، مع الموت والمأتم.

"منى" لم تعد منى يا أمـي.. شيء ما انكسر، أصبحت أخاف من شكلها..

أقنعتها باستكانة: ستتآلفين مع الشكل الجديد الذي أنظمت إليه "منى" فكل يوم نصحو نرى الشرشف قد التهم بشراهة ما تبقى من الطفلات والشابات والكبيرات في مرافق الحياة وأولها المدارس المفصِلة للشرشف بكل الأشكال والأحجام، ستآلفين الحياة مع الجثث المفصولة عن الرأس.

النص في الخطاب التنويري

محمد علي بن علي المحمود

يـخـدع النصوصيون التقليديون الجماهير بكثرة إيرادهم للنصوص. وهذا جزء من ممارسة الخداع النفسي؛ حيث يتصورونهم الأشد وفاء للنص؛ لأنهم الأكثر (استشهاداً!) بالنص. يحاول النصوصيون التقليديون إيهام الجماهير المتدينة أنهم - وحدهم! - الأوفياء للنص المقدس، ومن ثم الأوفياء للدين، بينما الآخرون، وهم بقية الأصوات غير التقليدية، لا يمنحون النص المكانة التي يستحقها، في عالم المعرفة، وفي عالم الواقع، ومن ثمّ، فهم - حسب ما يصورهم به التقليديون- إما جاهلون بالنص أو متجاهلون لـه، وهـم بهذا التصنيف الظالم، قد خانوا النص، ونابذوا الدين وهذه تهمة التهم للخطاب التنويري. التقليدية تحاول تقسيم الحراك الفكري المشتبك مع الديني إلى: نصوصية سلفية تقليدية، هي المعبر - في تصورهم - عن الدين، وعقلانية تحررية، تشتبك مع الديني بعد ازورار واضح عن النص. وهذا التقسيم يريد أن يصل إلى نتيجة تخدم التقليدية إيديولوجيا، وذلك عندما تؤكد أنها المعبر الشرعي والوحيد عن الدين، معززة ذلك بحديث الافتراق المضطرب سنداً، والمتعذر - عقلاً - أن يدرج في سياق الافتراق. ما تحاول التقليدية السكوت عنه، أن التقسيم ليس بهذه الثنائية الدوغمائية المشحونة بالأبعاد الإيديولوجية التي تمتد في عمرها إلى أكثر من أربعة عشر قرناً. الحقيقة العلمية، كما الواقعية، أن الظاهرة الإسلامية، نصوصاً وأحداثاً، خضعت لعدة قراءات، يستحيل حصرها في سبعين أو مئة، أو حتى ألف. كما أن التقليدية ذاتها ليست قراءة واحدة، بل هي عدة قراءات، ولكل مذهب وفرقة وطائفة، درجات من التقليدية، التي تحاول - من داخلها - ممارسة هذا التقسيم الثنائي، والتأكيد على أنه التقسيم الوحيد الموجود. هذه الثنائية التي تحاول النصوصية التقليدية الإيهام بأنها ثنائية إيمانية، أحد أطرافها: منافق/ كافر. لا تريد التقليدية النصوصية أن تعترف بمأزقها النصوصي مع الواقع، وأنها ليست إشكالية نص، وإنما هي إشكالية غياب العقل في التعاطي مع النص. لا بد أن تتحول هذه الثنائية - في هذه الجزئية خاصة - إلى ثنائية: نصوصية عقلانية، ونصوصية غير عقلانية. نصوصية تعتقد أن فاعلية النص لا تتحقق إلا من خلال العقل، ونصوصية تقليدية آلية، تعتقد أن فاعلية النص لا تتحقق إلا من خلال تغييب العقل. النصوصية التقليدية تجد نفسها من خلال العداء المضمر للعقل. وجودها لا يتحقق في مجتمع مشبع بالعقلانية، يعي تلك المسافة التي لا بد من قطعها بين الوجود المتعالي للنص، وبين الواقع المتعين. لهذا، تفترض التقليدية أن كل دعوة لعقلنة الخطاب الديني، هي دعوة لنقض الخطاب الديني ذاته، وليس لتطويره فحسب. ما لا تريد التقليدية أن تعترف به أن الوعي التنويري الخاص بالإسلام، هو وعي نصوصي، ولكنه وعي نصوصي معقلن، بعيد عن الجمود والتقليد، وعي يضع النص في كيميائية خاصة، تحمل في تركيبتها تحولات (العقل = الوعي) البشري، وتحولات الشرط الواقعي، فيخرج من خلال ذلك تنصيص خاص بالزمان والمكان، يمكن له أن يتكرر - بتنوع - في كل زمان ومكان. النص يحتوي على بعدين: بُعد متعال، عابر للزمان والمكان، ذي طابع نظري عام، أو شبه نظري، وبعد تفصيلي، مشدود إلى الواقع التاريخي الذي كان النص استجابة له البعد الأول، وعلى ضوء القراءة المقاصدية، ومراعاة الشرط الواقعي، هو البعد الذي يمكن استحضاره الآن، أما البعد الآخر، فهو بُعد تاريخي (بالمفهوم القارّ للتاريخ) يستحيل عليه عبور الزمان والمكان. إذا أردنا للنص أن يمارس فاعليته الحقيقية في الواقع؛ فلا بد أن نفهم هذين البعدين، أي أن نعتقه من أسر الفهم التقليدي الذي لا يزال يفهم النص على أنهمجرد خطاب مباشر، يتكرر في الزمان والمكان، موجّه إلى قارئ سلبي، خال من الأبعاد المعرفية، ومتجرد من تطوره التاريخي. وهذا فهم يقتل النص - بالغاء انفتاحه على تنوعه وتطور الحياة البشرية؛ موضوع خطاب النص - وهو يظن أنه يقوم بإحيائه. يتهم التقليديون الخطاب التنويري بأنه خطاب يلغي النص؛ عندما يتعارض مع الواقع، وهذا اتهام يتكرر، نتيجة سوء فهم، أو تعمد إساءة فهم الخطاب التنويري، بإنتاجه دلالة النص، من خلال المعرفة والواقع، هو الأشد التزاماً بالنص؛ لأنه الأشد استبطاناً له، والأقرب إلى كليات النص (= النص هنا: مجموع النص المقدس، وليس مفرداته) وهي الكليات المرتبطة بالمقاصد العامة والأزلية للرسالة. بل يصرح التقليديون بأن جزءاً من (صوابيتهم) مستمدة من هذه الكثرة في الاستشهاد . طبعاً، لا يهم الجماهير (كيفية) الاستشهاد؛ لأنها لا تتوقع الخداع في هذا المضمار، ومن هؤلاء بالذات. الخداع بالكثرة، ليس شيئاً يتم في الخفاء، وإنما هو شيء معلن، بل هو جزء من آلية الهجوم على الخطاب التنويري، ذي المنحى الليبرالي. نسمع ونقرأ كثيراً عن افتخار التقليديين بأن مقولاتهم متخمة بالنصوص، وأن في كل سطر يكتبونه نصاً ما، وأن خصومهم التنويريين، تكاد تخلو مقولاتهم من النصوص. وكما قال لي أحدهم: إنك تكتب مقالاً مطولاً يناهز الثلاثة آلاف كلمة، ليس فيه آية ولا حديث، بينما لا يخلو سطر أو سطران لي من آية أو حديث. هكذا قال. وحسب هذا الفهم، فهو أشد إسلامية؛ لأنه الأكثر نصوصية! كون الخطاب التقليدي، لا يكثر من إيراد النصوص في مقولاته، حقيقة. لكن، ماذا وراء هذه الحقيقة؟! جزء من احترام الخطاب التنويري للنص، أنه لا يمتهن النص في كل سياق، وهو لا يورده كدليل، إلا عندما يكون دليلاً بالفعل، وليس مجرد تلاعب بعواطف الجماهير. كثير من الذي يقال في معظم القضايا، لا يحتاج لدليل نصي، وإنما لدليل عقلي. وضع النص - اعتسافاً - في موضع الدليل العقلي أو التجريبي الواقعي، لمجرد الاحتماء بالنص، خيانة للنص، من جهة، وخيانة لمتلقي الخطاب التقليدي من جهة أخرى. استغباء الجماهير، حالة ملازمة لتيار النصوصية التقليدية، الذي يمارس الإقناع من خلال عملية (قص/ لصق) عشوائية أو شبه عشوائية، وإخراجها في صورة الخطاب الشرعي الوحيد، المعبِّر عن إرادة الإسلام. بينما يتم تصوير النصوصية التنويرية، بأنها تجاوز للنص، أو إلغاء له، أو قفز عليه، في محاولة لتشويه الخطاب التنويري. حقيقة أن التنوير الإسلامي، هو الامتداد العصري للإسلام، يجري تغييبها اليوم في واقعنا الذي يحاول التقليديون التهامه . التنوير الإسلامي ليس غريباً، ولم يأت من فراغ، وإنما هو النتاج الطبيعي لعملية التقاء الإسلام بالعصر، أي بكل مكونات العصر. النصوصية التقليدية يمكنها أن تعيش في مخيالها، وتمارس الارتهان إلى تفاصيل الماضي فيما وراء الواقع. أما أن تحاول مَوضعة ماضويتها في واقع لم تأخذ به عند مقاربتها للنص. التقليدية، عندما ألغت الواقع: المعاصرة من معادلة تأويل النصوص؛ ألغت - آلياً - قدرتها على الاشتباك الإيجابي مع الواقع. تأويل يلغي الواقع، تنتج عنه بالضرورة، رؤية تعجز عن رؤية الواقع، بل تصطدم به على نحو كارثي، كما هو حال النصوصية التقليدية اليوم.

كاتب سعودي

مؤسسات الأمن القومي

فيصل الصوفي

أفضل مكان تختاره الدول لصنع مواطن صالح أو فنان أو مفكر أو مدافع وحام للأمن القومي هو المدرسة.

دور المدرسة لم يعد محصوراً في مهمة نقل قيم وثقافة الأولين إلى الذين يأتون بعدهم.. بل إن نظام التعليم العصري يهدف إلى جعل المدارس والمؤسسات التعليمية مكاناً ليتعلم فيه الأولاد الذكاء والنجاح.. وأن تكون مصانع لإنتاج الكاتب والرياضي والممثل المسرحي والمغني والرسام والصحفي ورجل الإدارة.. ومن واجبنا أن ننبه حكومتنا أن قبولها بالوضع التربوي الحالي يعني رضاها بخطر محدق.

يحضر الطلاب والتلاميذ إلى مدارسهم لتلقي معارف بسيطة وقليلة الأهمية في عصر الانفجار المعرفي.

هذه ليست وظيفة التعليم الحديث قطعاً.. الوظيفة الحقيقية للتعليم اليوم هي مساعدة الطلاب والتلاميذ أن ينتجوا معارف وأن يعبروا عن قدراتهم العقلية وإبداعاتهم في مجال التفكير والتقنيات والمظاهر العملية المبدعة.

مدارسنا الآن تخلو غالباً من معامل التدريب العملي، وفوق ذلك عمل «الإسلاميون المتشددون» على منع أنشطة الرسم والغناء والمسرح وحتى تحية العلم بوصفها مظاهر «كفرية».. ولأن هؤلاء «الإسلاميين» سيطروا على التربية يمكننا تفهم سبب كون عدد المتعلمين ازداد في الوقت الذي قل فيه عدد المبدعين.. إن النظام التربوي الذي يسيطر عليه «الإسلاميون» يهدف إلى زيادة عدد رواد المساجد، بينما النظام التربوي الحديث – وهذا ما نريده – يزيد أعداد رواد الفكر والمبدعين في مجالات الرياضة والفن والأدب والمواطنة الصالحة والعفة والنزاهة والأخوة والوحدة الاجتماعية ونصراء القانون وحماة الاستقرار وبناة دولة القانون والمؤسسات الحديثة.